

المبحث السابع

المفاضلة بين الملائكة والبشر

obeikandi.com

أولاً: المفاضلة بين الملائكة وحقوقهم على بني البشر وأثر الإيمان بهم: الملائكة متفاوتون في الفضل، يفضل بعضهم بعضاً، شأنهم في ذلك شأن سائر المخلوقات، فأفضل الملائكة المقربون منهم.

يقول الحافظ ابن كثير في سياقه لأصناف الملائكة: ومنهم الكروبيون الذن هم حول العرش، وهم أشرف الملائكة مع حملة العرش وهم الملائكة المقربون، كما قال تعالى: {لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ} [النساء: ١٧٢].

وأفضل المقربين رؤساء الملائكة الثلاثة الذين كان النبي ﷺ يذكرهم في دعائه الذي يفتتح به صلاته إذا قام من الليل حيث يقول: «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض...» الحديث^(١)، يقول ابن القيم: ذكر هؤلاء الثلاثة من الملائكة لكمال اختصاصهم واصطفائهم وقربهم من الله، وكم من ملك غيرهم في السموات فلم يسم إلا هؤلاء الثلاثة^(٢).

وقد اختلف في المفاضلة بين هؤلاء الثلاثة، وقد اخترت أن أفضلهم جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل على حسب ترتيب الحديث السابق.

وجبريل أطيب الأرواح العلوية وأزكاها وأطهرها^(٣) وأشرفها وهو السفير في كل خير وهدى وإيمان وصلاح، وقد أثنى الله سبحانه على عبده جبريل في القرآن أحسن الثناء ووصفه بأجمل الصفات فقال تعالى: {فَلَا أَسْمُ بِالْحُسُوسِ ۝١٥ الْجَوَارِ الْكُنُوسِ ۝١٦ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ ۝١٧ وَالصُّبْحِ إِذَا

(١) مسلم (١ / ٥٣٤) رقم ٧٧٠.

(٢) زاد المعاد (١ / ٤٣).

(٣) شفاء العليل لابن القيم (٢ / ٦٢٠).

نَفْسَ ۝ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۝ مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٍ ۝ ﴿١٨﴾
 [التكوير: ١٥ - ٢١]، فهذا جبريل، فوصفه بأنه رسوله، وأنه كريم عنده، وأنه ذو قوة ومكانة عند ربه سبحانه وأنه مطاع في السماوات وأنه أمين على الوحي، فمن كرمه على ربه: أنه أقرب الملائكة إليه.

ومن قوته أنه رفع مدائن قوم لوط على جناحه، ثم قلبها عليهم فهو قويٌّ على تنفيذ ما يؤمر به، غير عاجز عنه، إذ تطيعه أملاك السماوات فيما يأمرهم به عن الله تعالى^(١).

وقد وصف الله تبارك وتعالى، رسوله جبريل عليه السلام بصفات في سورة التكوير، بأنه كريم، قوي، مكين عند الرب تعالى، مطاع في السماوات، أمين، فهذه خمس صفات تتضمن تزكية سند القرآن، وأنه سماع محمد من جبريل، وسماع جبريل من رب العالمين، فناهيك بهذا السند علواً وجلالة: قول الله سبحانه بنفسه وتزكيته^(٢).

الصفة الأولى: كون الرسول الذي جاء به إلى محمد ﷺ كريماً ليس كما يقول أعداؤه: إن الذي جاء به شيطان، فإن الشيطان خبيث مخبث، لنيم، قبيح المنظر، عديم الخير، باطنه أقبح من ظاهره، وظاهره أشنع من باطنه، ليس فيه ولا عنده خير، فهو أبعد شيء عن الكرم والرسول الذي ألقى القرآن إلى محمد ﷺ كريم، جميل المنظر، بهي الصورة، كثير الخير، طيب مطيب معلم الطيبين، وكل خير في الأرض من هدى وعلم ومعرفة، وإيمان وبر، فهو مما أجراه ربه على يده وهذا غاية الكرم الصوري والمعنوي.

الوصف الثاني: أنه ذو قوة، كما قال في موضع آخر: {عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى}

[النجم: ٥].

(١) واحة الإيمان عند ابن القيم (٢) للأشقر ص ٣٨.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٨.

وفي ذلك تنبيه على أمور:

- أنه بقوته يمنع الشياطين أن تدنو منه وأن ينالوا منه شيئاً، وأن يزيدوا فيه أو ينقصوا منه، بل إذا رآه الشيطان هرب منه ولم يقربه.

- أنه موالٍ لهذا الرسول الذي كذبتموه، ومعاضد له وناصر، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَطَّهَّرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِّحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [التحريم: ٤]، ومن كان هذا القوي وليه، ومن أنصاره، وأعوانه، ومعلمه، فهو المهدي المنصور والله هاديه، وناصره.

- أن من عادى هذا الرسول فقد عادى صاحبه ووليه جبريل، ومن عادى ذا القوة والشدة عرضه للهلاك.

- أنه قادر على تنفيذ ما أمر به لقوته، فلا يعجز عن ذلك، مؤدِّ له كما أمر به لأمانته، وهو القوي الأمين، وأحدكم إذا انتدب غيره في أمر من الأمور لرسالة أو ولاية، أو وكالة أو غيرها فإنما ينتدب لها القوي عليه الأمين على فعله، وإن كان ذلك الأمر من أهم الأمور عنده انتدب له قوياً أميناً معظماً ذا مكانة عنده مطاعاً في الناس، كما وصف الله عبده جبريل بهذه الصفات، وهذا يدل على عظمة شأن المرسل، والرسول، والرسالة، والمرسل إليه، حيث انتدب له الكريم القوي المكين عنده، المطاع في الملأ الأعلى، الأمين حق الأمين فإن الملوك لا ترسل في مهماتها إلا الأشراف ذوي الأقدار والرتب العالية.

الوصف الثالث: مكين عند ذي العرش، وهو المذكور في قوله: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [التكوير: ٢٠] أي له مكانة ووجاهة عنده، وهو أقرب الملائكة إليه وفي قوله: ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ﴾ إشارة إلى علو منزلة جبريل، إذ كان قريباً من ذي العرش سبحانه.

الوصف الرابع: مطاع، وقد أشار بهذا الوصف إلى أن جنوده وأعدائه يطيعونه إذا ندبهم لنصر صاحبه وخليته محمد ﷺ، وفيه إشارة أيضاً إلى أن هذا الذي تكذبونه وتعادونه سيصير مطاعاً في الأرض، كما أن جبريل مطاع في السماء، وأن كلا من الرسولين مطاع في محله وقومه، وفيه تعظيم له بأنه بمنزلة الملوك المطاعين في قومهم، فلم ينتدب لهذا الأمر العظيم إلا مثل هذا الملك المطاع.

الوصف الخامس: الأمانة، وفي وصفه بالأمانة إشارة إلى حفظه ما حملة، وأدائه له على وجهه^(١).

الوصف السادس: جمال جبريل وبهاؤه، قال تعالى واصفاً جبريل عليه السلام الذي يأتي نبينا بالوحي من عند الله: {عَمَّهُ سَدِيدُ الْقُوَى} ٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ٩ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ١٠ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ١١ أَفَتَمَنُونَهُ عَلَيَّ مَا يَرَى ١٢ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ١٣ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ١٤ عِنْدَ هَاجِةِ الْمَأْوَى ١٥ إِذِ يَعْنَى السِّدْرَةَ مَا يَعْشَى ١٦ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ١٧} [النجم: ٥ - ١٧].

ثانياً: المفاضلة بين الملائكة وصالحى البشر:

هذه المسألة وهي المفاضلة بين الملائكة وبين صالحى البشر محل خلاف بين أهل العلم وكل منهم أدلى بدلوه فيما يحتج به من النصوص ولكن القول الراجح هو تفضيل صالحى البشر على الملائكة وذلك للأدلة الآتية:

١- روى أبو يعلى الموصلى في كتابه " التفسير " بسنده عن عبد الله

(١) واحة الإيمان عند ابن القيم (٢) ص ٣٠.

بن سلام - رضي الله عنه - قال: «ما خلق خلقاً أكرم على الله من محمد ﷺ»^(١).

٢- قوله تعالى قصصاً عن إبليس: { قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ } [الإسراء: ٦٢]، فإن هذا نص في تكريم آدم على إبليس إذ أمر بالسجود له، وأن السجود لآدم دليل على تكريم الله له على من أمرهم بالسجود له.

٣- أن الله خلقه بيده والملائكة لم يخلقهم بيده بل بكلمته.

٤- قوله: {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} وفيها دليل على تفضيل الخليفة من وجهين:

أولهما: أن الخليفة يفضل على من هو خليفة عليه وقد كان في الأرض ملائكة.

ثانيهما: أن الملائكة طلبت من الله تعالى أن يكون الاستخلاف فيهم والخليفة منهم فلولا أن الخلافة درجة عالية أعلى من درجاتهم لما طلبوها وغبطوا صاحبها.

٥- تفضيل آدم عليهم بالعلم حين سألهم الله عز وجل عن علم الأسماء فلم يجيبوه واعترفوا أنهم لا يحسنونها فأنبأهم آدم بذلك.

٦- قصة سجود الملائكة كلهم لآدم ولعن الممتنع عن السجود وهذا تشريف وتكريم له.

٧- الآثار الكثيرة المروية عن السلف التي تفيد تفضيل صالحى البشر على الملائكة من غير نكير منهم لذلك ولم يخالف أحد منهم في ذلك إنما ظهر الخلاف بعد تشتت الأهواء بأهلها وتفرق الآراء فقد كان ذلك كالمستقر عندهم.

(١) رواه الحاكم في المستدرک (٥/ ٣٦٨) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقہ الذهبي.

٨- أحاديث المباحة، فإن الله يباهي ملائكته بعباده المؤمنين المتلبسين بالطاعة كمباهته بأهل عرفة^(١)، ونحو ذلك.

٩- ما أعده الله لصالحي البشر يوم القيامة من خير عميم وفضل عظيم ونعيم مقيم وقرة عين لا تنقطع وتلذذ بالنظر إلى وجهه الكريم نسأل الله أن يجعلنا منهم^(٢).

ولهذا كان أكثر الناس على تفضيلهم - أي صالحى البشر - على الملائكة لأن الملائكة عبادتهم بريئة عن شوائب دواعى النفس والشهوات البشرية، فهي صادرة عن غير معارضة ولا مانع ولا عائق وهي كالنفس للحي، وأما عبادات البشر فمع منازعات النفوس وقمع الشهوات ومخالفة دواعى الطبع فكانت أكمل^(٣).

وخلاصة القول في هذه المسألة أن يقال: إن صالحى البشر أفضل من الملائكة باعتبار النهاية، فإن الله سبحانه وتعالى قد أعد لهم من الثواب والنعيم في دار الكرامة الشيء الكثير مما لم يذكره للملائكة الأبرار عليهم السلام، وقد انقطع عملهم ولم يبق لهم إلا التمتع بما أنعم الله به عليهم، وعمل الملائكة دائم لا ينقطع ولذلك يدخلون على المؤمنين ويسلمون عليهم، وأما باعتبار البداية فإن الملائكة أفضل لأنهم جبلوا على طاعة الله قبل بنى آدم وأطاعوا الله ولم يعصوه طرفة عين وعبادتهم أكثر بالجملة من عبادات البشر^(١).

(١) الترغيب والترهيب للمنذري (٢/ ٢٠٠).

(٢) في الملائكة المقربين ص ٢٠٨.

(٣) طريق الهجرتين لابن القيم (١/ ٩٥).

(١) في الملائكة المقربين ص ٢٠٩.

وبعد فإن الخوض في هذه المسألة وطلب المفاضلة بين صالحى البشر والملائكة من فضول العلم الذى لا يضطر الإنسان إلى فهمه والعلم به والله المستعان^(١).

ثالثاً: حقوق الملائكة على بنى آدم:

١ - الإيمان بهم:

الإيمان بالملائكة هو الركن الثانى من أركان الإيمان، لا يتم إيمان عبد إلا بالإيمان بهم، والقصد هو أن الله عز وجل قد أوجب على بنى إسرائيل الإقرار بوجود الملائكة وجعل هذا الإقرار ديناً يسأل عنه الإنسان يوم القيامة وكلما ازداد الإنسان معرفة بأحوالهم ازداد إيماناً لأنه يتضمن التصديق بالأخبار الواردة عن الله ورسله ﷺ فيهم، ولولا أهمية معرفة أحوالهم وصفاتهم وأعمالهم لما جعل الله سبحانه وتعالى الإيمان بهم الركن الثانى من أركان الإيمان^(٢).

٢ - البعد عن الذنوب والمعاصى:

أعظم ما يؤذى الملائكة الذنوب والمعاصى والكفر والشرك، ولذا فإن أعظم ما يهدى للملائكة ويرضاهم أن يخلص المرء دينه لربه، ويتجنب كل ما يغضبه^(٣).

٣ - البعد عما تكرهه الملائكة:

جاءت أحاديث تنهى عن بعض ما يؤذى الملائكة ودلت أحاديث أخرى على أن الملائكة لا تدخل البيوت التى فيها ما تكرهه فمن هذه الأمور التى تكرهها الملائكة والتى يجب علينا الابتعاد عنها حتى لا

(١) المجموع الثمين لابن عثيمين (١/ ١٣٨).

(٢) فى الملائكة المقربين ص ٢٠٩.

(٣) عالم الملائكة الأبرار ص ٦٨.

يفوتنا الخير بابتعاد الملائكة عنا:

- الصور والتماثيل.
- تربية الكلاب في البيوت.
- تعليق الجرس على الدواب.
- ترك الاغتسال عن الجنابة حتى يصبح ذلك عادة عند الإنسان.
- التطيب بالخلوق وهو طيب مركب من زعفران وغيره وهو من الأطياب الخاصة بالنساء، وقد تقدمت الأحاديث التي تنهى عن ذلك.
- ومن ذلك أكل الثوم أو البصل والكرات أو ما شابهها من البقول ذات الرائحة الكريهة، كما جاء في حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: نهى رسول الله ﷺ عن أكل البصل والكرات، فغلبتنا الحاجة فأكلنا منها، فقال: «من أكل من هذه الشجرة المنتنة فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الإنس»^(١).

- ومما نهينا عنه من أجل الملائكة البصاق عن اليمين في الصلاة^(٢)، وقد جاء في علة النهي عن البصاق عن اليمين أن على يمين المصلي ملكاً فلأجل إكرامه وعدم أذيته عن البصاق عن اليمين في أثناء الصلاة، كما جاء في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «إذا قام أحدكم فلا يبصق أمامه وإنما يناجي الله ما دام في مصلاه ولا عن يمينه فإن عن يمينه ملكاً وليبصق عن يساره أو تحت قدميه فيدفنها»^(٣).

٤- محبتهم وذكر فضائلهم:

- وعلى المسلم أن يحب جميع الملائكة فلا يفرق في ذلك بين ملك وملك لأنهم جميعاً عباد الله عاملين بأمره تاركين لنهييه وهم في هذا وحدة

(١) مسلم (١/٣٩٤) رقم ٥٦٤.

(٢) في الملائكة المقربين ص ٢١٩.

(٣) فتح الباري على صحيح البخاري (٢/٥١٢).

واحدة لا يختلفون ولا يفترون^(١)، فنحن نحبهم لأنهم عبيد لله لا يعصون ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ونحبهم لأعمالهم العظيمة التي يقومون بها في السماوات والأرض، ونحبهم لدعائهم لنا عند الله سبحانه وتعالى.

- كما قال تعالى: {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْحَجِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾} [غافر: ٧ - ٩].

- وقال تعالى: {هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾} [الأحزاب: ٤٣].

- وقال تعالى: {تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الشورى: ٥].

فهذه الأدعية العظيمة من هؤلاء الملائكة الأخيار في ذلك المكان الشريف عند الرحمن الرحيم سبحانه وتعالى وذلك مما يوجب علينا أن نكافأهم على فضلهم ودعائهم لنا بحبهم ودعاء الله أن يجزيهم عنا خير الجزاء^(٢)، وقد كان النبي ﷺ يكافئ من دعاه إلى طعام بالدعاء له أن تصلي عليه الملائكة كما جاء في حديث أنس - رضي الله عنه - في قصة زيارة النبي ﷺ فلما فرغ قال: «أكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة وأفطر عندكم الصائمون»^(١).

(١) عالم الملائكة الأبرار ص ٦٩.

(٢) في الملائكة المقربين ص ٢١٠.

(١) مسند أحمد (٣/ ١٣٨) إسناده صحيح.

وكلما تدبر الإنسان أعمالهم التي يقومون بها ازداد حباً لهم وتعظيماً ولو لم يكن بهم إلا الإيمان بالله لوجب حبهم لإيمانهم فكيف وفيهم من الخصال العظيمة والخلال الشريفة ما تكفي كل واحدة منها لمحبتهم وذكر فضلهم، فالواجب على المسلم أن يحب أولياء الله ومنهم الملائكة الكرام وأن يعظمهم وأن يتدبر ما جاء في صفاتهم العظيمة في الكتاب والسنة، وأن يعتقد فضلهم وأن يذكرهم بما هم أهلُه وأن يثني عليهم بما أثنى الله به عليهم في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ وأن يتشوق إلى لقائهم في دار كرامته^(١).

٥- عدم سبهم أو تنقصهم أو الاستهزاء بهم:

من حقوق الملائكة عليهم السلام علينا ذكرهم بالخير دائماً والبعد عن أي كلام فيه تنقص لهم أو سب أو شتم أو إظهار لعداوتهم فإن بغضهم وعداوتهم كفر بهم والكفر بهم كفر بالله عز وجل، كما قال تعالى: {قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾} [البقرة: ٩٧، ٩٨].

وهذا وعيد وذم لمعادي جبريل عليه السلام، وإعلان أن عداوة البعض تقتضي عداوة الله لهم^(١).

ولا شك أن ملائكة الله سبحانه وتعالى هم من أوليائه المقربين، كما قال تعالى: {لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ} [النساء: ١٧٢].

(١) في الملائكة المقربين ص ٢١٢.

(١) تفسير القرطبي (٢/ ٣٦).

وعداوة أوليائه من أعظم الذنوب التي توجب غضب الله وعداوته، كما جاء في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب»^(١).

رابعاً: أثر الإيمان بالملائكة في حياة الإنسان:

للإيمان بالملائكة أثر في حياة المسلم يتمثل فيما يلي:

١- أن الإيمان بالملائكة يقوي الشعور لدى المسلم بعظمة الله عز وجل:

فالملائكة كما اتضح من صفاتهم ووظائفهم خلق عظيم، عظيم في القدرة، عظيم في السرعة، عظيم في الطاعة، وهذه العظمة تعكس عظمة الباري سبحانه، فهو الله الواحد الأحد بديع السماوات والأرض، ولا يعدو الملائكة أن يكونوا جنداً من جنود تنفيذ أمره وعباداً له سبحانه^(٢).

والمقصود: أن العلم بهذه المخلوقات العظيمة وهي ملائكة الرحمن عليه السلام والتدبر في صفاتهم التي أخبرنا الله بها في القرآن وثبتت في السنة يجعل القلب مضطرباً إلى تعظيم خالقه وهيبته وخوفه ورجائه، فإن خالق هذه المخلوقات العظيمة ولا شك يستحق لأن يعبد وحده سبحانه وتعالى وأن يتقي بأن يذكر فلا ينسى ويطاع فلا يعصى^(١).

قال تعالى: { مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ } (٧٤) اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ } (٧٥) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ } (٧٦) [الحج: ٧٤ - ٧٦].

وقال تعالى: { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ }

(١) البخاري رقم ٦١٣٧.

(٢) العقيدة الإسلامية، د. أحمد جلي ص ١٧٨.

(١) في الملائكة المقربين ص ٢٢٩.

الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتِ مَطْوِيَّاتٍ بِيَمِينِهِ ۗ سُبْحٰنَهُ ۖ وَتَعَالٰى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾
[الزمر: ٦٧].

وقد احتج العلماء بأحوال الملائكة مع الله عز وجل على وجوب إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة وتعظيمه، قال تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} [سبا: ٢٣].

وهذه الآية قيل أنها تقطع عروق شجر الشرك وهذه الآية تبين حال الملائكة الذين هم أقوى وأعظم من عبد من دون الله فإذا كان هذا حالهم مع الله تعالى وهيبتهم منه وخشيتهم له فكيف يدعوهم أحد من دون الله وإذا كانوا لا يدعون مع الله لا استقلالاً ولا واسطة فغيرهم ممن لا يقدر على شيء من الأموات والأصنام أولى أن لا يدعى ولا يعبد، ففيه الرد على جميع المشركين الذين يدعون مع الله من لا يداني الملائكة ولا يساويهم في صفة من صفاتهم^(١).

٢ - تحقيق الإيمان:

قال تعالى: {ءَأَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۗ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكِهِ وَكُتُبِهِ ۖ وَرُسُلِهِ ۗ لَا تَفَرَّقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ ۗ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۗ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾} [البقرة: ٢٨٥].

وقال رسول الله ﷺ: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته ورسوله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»^(١).

فمن آمن بالملائكة فقد حقق ركناً واجباً من أركان الإيمان ويلزمه أن

(١) في الملائكة المقربين ص ٢٣٠.

(١) مسلم، ك الإيمان رقم ٩٣.

يأتي ببقية الأركان، والكفر بهم ولا شك كفر بالله يوجب زوال بقية الأركان، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

٣- معرفة كثير من أسرار الكون والخلق مما يزيد الإيمان في قلب المؤمن:

يتعرف الإنسان على كثير من أسرار الكون إذ تدبر الآيات التي ذكر الله فيها الملائكة وما وكلها به من أعمال فينشرح صدره ويزداد إيمانه فإذا رأى السحاب عرف أن له ملائكة تسوقه وهذه الجبال لها ملائكة تتولاها، كذلك والنفطة في الرحم، والميت في قبره ستأتيه ملائكة، ويوم القيامة سيرى الملائكة، فيحب الملائكة ويزداد الله خشية وتعظيماً^(١)، قال تعالى: ﴿لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَبِيٌّ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ
إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٧، ٢٨].

٤- الحصول على الأمن والطمأنينة:

فالأمن في الدنيا والطمأنينة والحياة الطيبة في الدنيا والآخرة متوقفة على تحقيق الإيمان ومن ذلك الإيمان بالملائكة عليهم السلام.

- قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ
مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

- وقال تعالى: ﴿قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا
يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٣٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن
ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٣٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ

(١) في الملائكة المقربين ص ٢٣٢.

حَشْرَتِيْ أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيْرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنتَ أَأَيُّنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِيْ {
[طه: ١٢٣ - ١٢٦].

وهناك أمن آخر وطمأنينة حسية في الدنيا تحصل لمن حقق الإيمان بالملائكة وذلك أن الإنسان إذا عرف أن الله قد وكل به ملائكة يحفظونه من أمر الله وبأمر الله ويحفظونه من أعدائه اطمأنت نفسه وسكن قلبه وعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وعلم أنه إن ذكر الله ببعض الأذكار المشروعة كآية الكرسي وقل هو الله أحد والمعوذتين ونحو ذلك أرسل الله ملائكة يحفظونه من أعدائه فلا يضره جني ولا دواب ولا سحر إذا عرف ذلك ركن إلى الله وتوكل عليه وابتعد عما لا ينفعه من الذهاب إلى الكهان والسحرة ونحوهم لأنهم لا يزيدونه إلا خوفاً، كما قال تعالى: ﴿رَوَّانَهُ، كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ ﴿٦﴾ [الجن: ٦].

وأيما كنت وأيما توجهت في بر وبحر وأرض وسماء وليل ونهار فإن معك ملائكة لا يفارقونك أبداً فاحرص على الأذكار المشروعة حتى تحصل على الأمن والطمأنينة ولذلك أرسل الله الملائكة إلى النبي ﷺ وأصحابه في الغزو لتثبيتهم، كما قال سبحانه: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِئْتَانِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ الْغُصَاةَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمُ رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ [الأنفال: ٩ - ١٢] (١).

(١) في الملائكة المقربين ص ٢٣٣.

٥- الإيمان بالملائكة يعكس مركز الإنسان الكبير في الكون:

فالملائكة الذين هم أشد منّا قوة وأقوى سريرة، قد أمروا بالسجود لأدم عليه السلام، وسخروا لتدبير أمور حياتنا في الدنيا، والقيام بشؤوننا في الآخرة، وفي هذا تنبيه للإنسان الذي جعله الله خليفة في الأرض أن يعرف قيمته وقدره، وأن يتصرف بناء على ذلك، فيسلك الصراط المستقيم، ويتجنب طريق الغواية والضلال.

٦- الإيمان بالملائكة يدفعنا إلى التشبه بهم:

في الإقدام على الطاعات والابتعاد عن المعاصي فحينما يعلم الإنسان أن الملائكة يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون يحمله ذلك التشبيه بهم والسير على نهجهم فتقوى بذلك روحه المعنوية، ويتدرج في مدارج الكمال، وقد نبه الإمام الغزالي إلى هذا المعنى في بيانه لأسرار العبادات، ففي بيانه لأسرار الصوم قال: إن المقصود به الاقتداء بالملائكة في الكف عن الشهوات بحسب الإمكان، فإنهم منزهون عن الشهوات... وكلما قمع الإنسان الشهوات، ارتفع إلى أعلى عليين، والتحق بأفق الملائكة، والملائكة مقربون من الله عز وجل، والذي يقتدي بهم ويتشبه بأخلاقهم يقرب من الله عز وجل كقربهم، فإن الشبيه من القريب قريب^(١)، وفي بيانه لأسرار الحج يقول: واعلم أنك بالطواف، متشبه بالملائكة، الحافين حول العرش الطائفين حوله^(٢).

٧- إن الإيمان بالملائكة يدفع المرء إلى الاستحياء من الله تعالى:

(١) إحياء علوم الدين (١/ ٢٣٦).

(٢) المصدر نفسه (١/ ٢٦٩).

والبعد عن معصيته في السر والعلن، فإذا آمن الإنسان بأن الملائكة تتغشاه في مجالسه وتتولى كتابة أعماله وأنهم يتعقبونه في صحوه وغفلته، وفي سفره وحضره، فلن يستسهل الإقدام على المعصية أو اقتراف الخطيئة.

٨- إن الإيمان بالملائكة يولد لدى المرء الأنس:

وعدم الشعور بالوحشة أو الاستسلام لليأس، فحينما يصاب المؤمن بالضيق أو يتعرض للأذى، أو يقابل بالعداء والسخرية من أعداء دينه يجد من الملائكة الأنيس والرفيق الذي يواسيه ويصبره ويشجعه على مواصلة السير والثبات على الحق، فيقدم من ثم على مواجهة الأعداء، إذ يعلم أن الله تعالى معه، يؤيده بجنود من عنده يكونون عوناً له وناصراً^(١).

٩- الانتباه إلى أن هذه الحياة الدنيا فانية لا تدوم:

حين يتذكر ملك الموت المأمور بقبض الأرواح حين يتوفاها، ومن ثم فلا تستحق هذه الحياة الدنيا أن يُشغل بها الإنسان عن الآخرة، ويكفيه منها المتاع الطيب الحلال الذي أباحه الله.

١٠- عمل الحساب للآخرة:

حين يتذكر الإنسان ترحيب الملائكة بالمؤمنين في الجنة وتعذيبهم للكفار في النار، فيجب أن يكون ممن أنعم الله عليهم بجنته ورضوانه ووقاهم عذاب السموم^(١).

* * *

(١) العقيدة الإسلامية د. جلي ص ١٧٩.

(١) ركائز الإيمان محمد قطب ص ١٨٨.

الخاتمة

فهذا ما يسره الله لي من حديث في سلسلة أركان الإيمان عن الإيمان بالملائكة، وقد سميت هذا الكتاب ” الإيمان بالملائكة ”، فما كان فيه من صواب فهو محض فضل الله عليّ، فله الحمد والمنّة، وما كان فيه من خطأ، فأستغفر الله تعالى وأتوب إليه، والله ورسوله بريئان منه، وحسبي أني كنت حريصاً ألا أقع في الخطأ، وعسى ألا أحرم من الأجر، وأدعو الله أن ينفع بهذا الكتاب بني الإنسان، وأن يذكرني من يقرؤه من إخواني المسلمين في دعائه، فإن دعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب مستجابة إن شاء الله تعالى، وأختم هذا الكتاب بقول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

ويقول الشاعر:

كن فاعلاً للخير قوَّالاً له :: فالقول مثل الفعل مقترنان
 من غوثٍ ملهوفٍ وشبعة جائع :: ودثار عُريانٍ وفديّة عان
 فإذا عمّلت الخير لا تمئن به :: لا خير في متمدح منان
 اشكر على النعماء واصبر للبلاء :: فكلاهما خُلِقان مُدوَّحان
 بالله ثق وله أنب وبه استعن :: فإذا فعلت فأنت خير مُعان
 وإذا عصيت فُتّب لربك مسرعاً :: حذر الممات ولا تقبل لم يان
 وإذا ابتليت بعسرة فاصبر لها :: فالعسر فرد بعده يسران^(١)

ويقول الشاعر:

دين بالشرعية والكتاب كليهما :: فكلاهما للدين واستيطان

(١) نونية القحطاني لأبي محمد الأندلسي ص ٤٠.

وكذا الشريعة والكتاب كلاهما :: بجميع ما تأتيه مُحْتَفِظَان
ولكلِّ عبدٍ حافظان لكلِّ ما :: يقع الجزاء عليه مخلوقان
أُمرًا بكتب كلامه وفعاله :: وهما لأمر الله مُتَمَرِّان^(١)

”سبحانك اللهم وبحمدك
أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك”

* * *